تمهيد.

مما لاشك فيه أنّ الفكر الجزائري في العصر الوسيط جاء زاخراً بإبداعات الكثير من المفكرين والفلاسفة، والذين تركوا بصمتهم في تاريخ الفكر الفلسفي من أبرزهم عبد الرحمن الأخضري العالم والمربي والمتصوف الحاذق الذي استطاع أن يقدّم مشروعاً فكرياً وفلسفياً يعبّر عن الواقع المعقّد وفق فكر متعدد الجوانب يحاول أن يستجيب لمتطلبات الفرد والمجتمع، من هنا نتساءل: **ماهي إبداعات عبد الرحمن الأخضري؟ وهل فعلاً كان إبداعه أصيلاً ؟؟**

1.عبد الرحمن الأخضري: الفكر والشخصية.

ولد الشيخ العلامة عبد الرحمن الأخضري سنة 1512م بمنطقة بنطيوس ولاية بسكرة من أسرة شريفة كريمة متمسّكة بأهداب الدين فهو عالم ابن عالم، تلقى تعليمه الأولي على يدّ أبيه محمد الصغير الأخضري.[1]، والذي كان عالماً وفقيهاً متمكناً، كما تلقى العلم أيضا من أخيه الأكبر، وقد تشكلت معالم شخصيته العلمية في أسرته وهو صغير السنّ، ثم ارتحل إلى قسنطينة ومنها إلى تونس للاستزادة من العلوم والمعارف، وقد تلقى علوماً مختلفة على علماء أفذاذ في الداخل والخارج أمثال الشيخ علي بن محمد الخروبي، والشيخ الوزان، والشيخ عبد الرحمن بن القرون وغيرهم.

يعتبر الأخضري مفكّر وفيلسوف ومصلح ومربي وصوفي شهير استطاع أن يُنجز الكثير من الأعمال العلمية في ظرف وجيز، إذ ألّف وشرح وفسّر ونظّم الكثير من المنظومات وهو لايزال في سن مبكرة 17 سنة، وبالرغم من أنه لم يعمّر إلا 33 سنة إلا أن عطاءه كان غزيرا وهو ما يؤكد عبقريته الفذة.

[1]– محمد بن محمد بن عمرين قاسم مخلوف: **شجرة النور الزكية ج1** ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2003، ص412.

وقد ترك الأخضري تراثا فكريا وفلسفياً يستحق الاهتمام والدراسة من طرف الباحثين والدارسين، وفي تخصصات وحقول معرفية عدّة كالفقه، التصوف، المنطق، الأدب، العلوم التجريبية، ولعلّ من أبرز مؤلفاته نذكر:

1- المنظومة القدسية (في التصوف).

2- السلم المرونق (في المنطق).

3- الدرة البيضاء (في علم الفرائض والحساب).

4- الجوهر المكنون في ثلاثة فنون (المعاني والبيان والبديع).

5- منظومة السراج (في علم الفلك).

6- منظومة أزهار المطالب في هيئة الأفلاك والكواكب (في علم الإسطرلاب).

7- رسالة في التحذير من البدع.[1]

توفي عبد الرحمن الأخضري سنة 1546م في منطقة كجال بولاية سطيف، وقد نقل جثمانه رحمة الله عليه إلى بنطيوس وهناك ووري الثرى في قبره بجانب والده وجَدّه وأخيه.

2. فكر الأخضري.

إنّ الدارس لمؤلفات الأخضري يتأكد أن فكر الرجل فكر متعدد المعارف جمع بين العلوم النقلية والعلوم العقلية، ومن بين أفكاره نذكر:

1- يرى الأخضري أن الأمة لا يمكن أن تحقّق السؤدد والتقدّم إلا بالعلم والمعرفة والتعلّم لذلك اهتم بالعلم والتعلّم وأن العلوم كلها مطلوبة سواء كانت نقلية أي علوم الشريعة واللغة أو علوماً عقلية كالفيزياء والرياضيات والفلك وغيرها، لذلك تحدث الكثير من المؤرخين يصفون

[1]- عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر** ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والرجمة والنشر، بيروت لبنان، ص15.

الأخضري بأنه صاحب عقل متفتّح، فبالرغم من أنه صوفي التوجّه زاهد في الدنيا ورع صادق في تدينه إلا أنه كان يتميّز بعقل رياضي منطقي واقعي.[1]

2- ما يلاحظ أن الأخضري اهتم بالمنطق دراسة وفهما وشرحا ونظماً فكان دارسا متعمقاً للمنطق الصوري بمختلف مباحثه خاصة مجال القياس وقد قدّم آراءا وأفكار عدّة في المنطق جعلته أحد المناطقة الكبار في عصره، فقد طُبع كتابه السلم المرونق والذي أنجزه الأخضري بواقع 144 بيتاً ملخصاً فيه علم المنطق والحكمة ببراعة لا مثيل لها بغرض أن يستفيد منها تلاميذته، وكل متعلّم باحث عن الحكمة مرات عدة، كما نشرت أعماله المنطقية في عدة دول عربية وحتى أروبية اعترافاً بكفاءته في علم المنطق، الذي يقول في شأنه:

وَبَعدُ فَالمَنطِقُ لِلجَنَـــــــانِ نِسبَتُهُ كَالنَّحـــــــــوِ لِلِّسَانِ

فَيَعصِمُ الأَفكَارَ عَن غَيِّ الخَطَا وَعَن دَقِيقِ الفَهمِ يَكشِفُ الغِطَا

فَهَاكَ مِن أُصُولِهِ قَوَاعِـــــدَا تَجمَعُ مِن فُنُـــــــونِهِ فَوَائِدَا

سَمَّيتُهُ بِالسُّلَّمِ المُنَـــــــورَقِ يُرقَى بِهِ سَمَـــاءُ عِلمِ المَنطِقِ

وَاللهَ أَرجُو أن يَكُونَ خَالِـــصَا لِوَجهِهِ الكَـــــرِيمِ لَيسَ قَالِصَا

وَأَن يَكُونَ نَافِعًا لِلمُبـــــتَدِي بِهِ إِلَـى المُطَوَّلاَتِ يَهتَـــــدِي.[2]

3. انتقد الأخضري مجتمع عصره واعتبره مجتمعاً مضطرباً هشاً بعيداً عن القيم الفاضلة والمبادئ السامية التي تسمو بالفرد والمجتمع، وتساهم في تحقيق النهضة والتقدّم، والتي هي جوهر الإسلام، حيث كان مجتمعاً انتهازي انتشرت فيه صفات سلبية كالتملق والمحاباة والرشوة وعديد الآفات الاجتماعية، من هنا حارب هذه الأخضري هذه المظاهر ودعا إلى الإصلاح الاجتماعي وفق رؤية عقلية واقعية تنطلق من هوية الأمة وعلى رأسها الدين، فاعتبر أن التربية الروحية والنفسية طريق للإصلاح الاجتماعي.

---

[1]- بوزياني الدراجي: **عبد الرحمن الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره** ، دار الأمل للدراسات، ط2، 2009، ص33.

[2]- مرجع نفسه ، ص284.

4. يعتبر فكر الأخضري فكر عالم مصلح ومتصوف فاهم، من هنا انتقد المشعوذين والدجالين والمبتدعة من رجالات بعض الطرق الصوفية الذين أدخلوا في الدين ما ليس فيه فضلّوا وأضلّوا، فاتخذوا التصوف والتدين مطيّة للاسترزاق وكسب المال والاتجار بذممهم، فقد رفض كل هذا ودعا إلى تصوف نقي صاف خال من البدع والخرافات والأساطير، ويُرجع الأخضري التصوف السلبي المذموم إلى الجهل خاصة الجهل بالعقيدة، وهنا يقول: " وقد شهدنا ذلك ورأينا كل من تعلق بهذا العلم – ويقصد التصوف – قبل أن يتقن عقيدته وفق عبادته حصل على بدعة وزندقة..." [1] ، فهو كان يرى أن التصوف أساس العبادة والنجاة ولكن تصوف قائم على الورع والتقوى وتربية النفس وصفاء القلب واتباع سنّة المصطفى عليه الصلاة والسلام دون تشدد أو غلو.

3. ملامح فكر الأخضري.

إنّ الدارس المتعمّق لفكر الأخضري من خلال مؤلفاته يستخلص سمّات عدّة يتميّز بها فكر الأخضري نجملها فيما يلي:

1- أهم ميزة تميّز بها فكر عبد الرحمن الأخضري هو أنه كان صاحب فكر مبدع مجدد رافض للتقليد والتبعية رغم عصره الذي عُرف بالانحطاط والسكون والكسل، فقد دعا إلى التجديد في المفاهيم والتفتّح على علوم الآخر والاستفادة منها، والثقة بالنفس والسعي للتقدّم بأساليب جديدة ومعارف حديثة، فقد حاول تغيير الاتجاه التقليدي أنذاك، حيث سلك نهجاً أكثر فعالية وأخصب نتاجاً وأوفر ثماراً فأعاد للأذهان سنن أسلافه من العلماء الأفذاذ كالثعالبي وابن خلدون وابن رشد وغيرهم.[2]

2- يعتبر فكر الأخضري فكر مركب متعدد المعارف والمناهل حيث الفقه والأدب والرياضيات والفلسفة والمنطق وغيرهم من العلوم مستفيداً منها في تكوين شخصيته العلمية

[1]- عبد الرحمن الأخضري: **الجوهر المكنون في ثلاثة فنون** ، مخطوط رقم 213 ، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، ص25.

[2]- مرجع سابق: بوزياني الدراجي: **عبد الرحمن الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره** ، ص24.

مؤكداً على أهميتها للفرد المسلم، فالنجاة لا تكون إلا بالعلم والطريقة هي التصوف كمنهج وأسلوب للعبادة، وتجدر الإشارة هنا أن تصوف الأخضري كان على الطريقة الشاذلية.

3- ما يميّز فكر الأخضري أيضا أنه فكر منظم مبدع يركّز على الأصول دون الفروع يتسم بالبساطة و الاختصار، وهذا ما تجسّد في جلّ مؤلفاته التي كانت عبارة عن أبيات شعرية تتناول علم من العلوم أو حقيقة من الحقائق، سهلة الحفظ والفهم، وهذا أسلوب تعليمي جديد لم يعهده الدارسين المهتمين بقضايا الفكر والفلسفة.

الخاتمة.

نستنتج في الأخير أن عبد الرحمن الأخضري عالم ومفكر مقتدر استطاع أن يقدّم نسقاً فكريا وفلسفيا متكاملا رغم قصَر المدة التي عاشها، لذلك فهو نموذج للإبداع والتجديد والإصلاح فكان فكره أصيلاً يعبّر عن هويته وقناعته كمفكّر جزائري حر تجاوز ظروف الزمان والمكان.